# مراتب نعيم القبر (البرزخ)

. . . بلا أدنى شك إن ما نسوقه من تقسيمات وأقوال في موضوع البرزخ إنما جلّه من كتاب اللّه سبحانه أو من سنة رسوله ﷺ الصحيحة والمعتمدة من رواة الحديث المعترف بهم من الأمة وعبر تاريخها المديد. .وهذه مراتب نعيم القبر من آيات اللّه الكريمة وأحاديث رسوله ﷺ.

## ١ ـ مقام الأنبياء والمرسلين:

. . . عن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون**».

[رواه البيهقي وأبو يعلى]

. . . الحياة البرزخية معلومة، ولكن الكيفية مجهولة بقيت في عالم الغيب وليست كلمة قبورهم الواردة في الحديث تعني تلك الحفرة التي يوضع فيها الميت وإنما المعنى في (عالم البرزخ) الواسع الأفق والذي علمه عند اللّه سبحانه، وكيفية الصلاة مجهولة أيضاً، لأن التكليف في العبادات ينقطع عن المؤمن أو عن الإنسان بعد موته، ولكن الأمر عندما يكون بعلم اللّه وقدرته تتوقف العقول عن التفكير وتبقى ضمن مجال حدودها، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وكما في الحديث: «**إن أهل الجنة يُلهمون الحمد والتسبيح في**

**الجنة كما يلهمون النَفَس**»، أي دون عناء وجهد، وكذلك فإن التسبيح والتحميد معلومان ولكن كيفيتهما في الجنة مجهولة. . .ثم إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم عند ربهم خاصية مخصوصة، فهم الأكمل في الدنيا والأكمل في عالم البرزخ والأكمل في الآخرة والأكمل في جنات اللَّه تعالى، وإمامهم في الكمال والمنزلة سيدنا محمد ﷺ الذي له مقام الوسيلة والفضيلة. .وكما صح في الحديث أن أجسامهم لا تأكلها الأرض كما هي الحال بالنسبة لبقية البشر، يقول رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

[رواه ابن ماجه في سننه]

. . .وفي حديث الإسراء والمعراج: أن رسول اللَّه ﷺ لما عُرج به إلى السماء وجد الأنبياء في السموات السبع أحياء، فسلم عليهم وسلموا عليه، وهذا يدل على أن الأنبياء في المقام الأسنى والملأ الأعلى في نعيم اللَّه سبحانه ورضوانه.

## ٢ ـ مقام الشهداء:

ما عظَّم اللَّه سبحانه فئة من الناس كما عظَّم الشهداء إلا الأنبياء والمرسلين، فقد باعوا أنفسهم وأرواحهم في سبيل اللَّه تعالى، فجعل اللَّه سبحانه لهم في عالم برزخهم حياة خاصة، غير ما سينالهم من المقام الكبير والأجر العظيم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١]

فالحياة للشهداء معلومة والكيفية بالنسبة إلينا مجهولة. .ودليل حياتهم المستمرة قوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ فالحي هو الذي يرزق ليتنعم بهذا الرزق من طعام وشراب وغيره. .وهذه الآية الكريمة دليل أيضاً أن عالم البرزخ عالم كبير أخرج من عقولنا وتفكيرنا، وليست العبرة في هذا الجسد المسجّى في القبر لأننا إذا فتحنا القبر على الشهيد نجده في قبره. .فكيف إذاً هو حي يرزق. .فهو حي في علم اللَّه ويرزق في علم اللَّه، فالخالق أعلم بخلقه وأعلم بتلك الروح التي حجب علمها عن الناس جميعاً. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فالنعيم نعيم الروح والنفس، وأمّا هذا الجسد الدنيوي فهو بعد الموت إلى فناء، ودليله أنه يتحول إلى عظام ثم تراب برؤية العين، ويوم القيامة ينشئنا اللَّه سبحانه نشأة أخرى، يقول تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

واللَّه سبحانه بقدرته قادر على أن ينشئ الشهداء بعد موتهم مباشرة النشأة الأخرى، ويجعلَهم يرزقون وهم أحياء في مقام أعدّه لهم حتى يوم القيامة.

وفي آية أخرى يؤكد اللَّه سبحانه أن حياة الشهداء بعلم اللَّه لا تدركه أحاسيسنا وعقولنا ومشاعرنا، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٥٤]

فهم في حياة برزخية حجبت عنا لأن ذلك من عالم الغيب الذي

حجب عنا امتحاناً وابتلاء لنا، وربما يكشف اللَّه سبحانه هذا الغيب لمن أراد من الرسل والأنبياء وبعض خُلَّص عبيده.

## ٣ ـ مقام المؤمنين:

تحدثنا في فِقرة سابقة عن نعيم القبر أو عن نعيم البرزخ، وأن أي إنسان ومهما كان حاله في الدنيا يعرض عليه مقعده صباح مساء حتى يبعثه اللَّه سبحانه يوم القيامة، وعلى هذا أيضاً فإن الطريقة معلومة والكيفية مجهولة، اللَّه سبحانه أعلم بها، وعرض المقام يومياً غدواً وعشياً دليل على أن الإنسان ليس مخلوقاً للفناء، وما مرحلة البرزخ إلّا انتقال بين حياتين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وهذا الانتقال ليس بفناء وإنما هو نوع آخر من الحياة غير معلومة الكيفية كالحياة في الآخرة والتي تحدث اللَّه سبحانه عنها في كتابه في عشرات الآيات الكريمة ورسوله ﷺ في عشرات الأحاديث الشريفة إلا أنها تبقى مجهولة الكيفية لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

ولقوله تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه:

**«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**.

[رواه أحمد والشيخان]

فقد أعلمنا اللَّه سبحانه أن هناك نعيماً عظيماً وجناتٍ وأنهاراً وقصوراً وحوراً ولآلئ وجواهر ومعادن لكن لن ندرك بأحاسيسنا الدنيوية كيفيتها.. وهذه حال البرزخ أُخبرنا عنه وعمّا سيحدث فيه ولكن الخبر ليس كالمعاينة والسمع غير الرؤية.

. . عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشيِّ إن كان من أهل الجنة فهو من أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك اللَّه يوم القيامة** ».

[رواه البخاري ومسلم]

والعرض الذي هو في الحديث الشريف، دليل على حياة غير الحياة التي تعارفنا عليها في الدنيا، ونحن متفقون على أن اللَّه سبحانه قادر مقتدر وعليم، وبقدرته يخلق أنواعاً من الحياة لا حصر لها، وما الحياة في البرزخ إلا نوع واحد، فكم هو هين على اللَّه سبحانه.

. . . . عن أبي قتادة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ مرَّ عليه بجنازة قال:

« **مستريح ومستراح منه** قالوا: يا رسول اللَّه ما المستريح وما المستراح منه؟ **قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة اللَّه تعالى، والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب** ».

[رواه البخاري ومسلم]

. . . ورسول اللَّه ﷺ يتحدث عن رجل مات ورأى جنازته ولا يعرفه فقال هذا الحديث الشريف، وهو دليل على أن الإنسان إذا كان (مستريحاً) فإنه يستريح من عناء الدنيا ونصبها إلى رحمة اللَّه مباشرة لا إلى فناء وعدم، ودليله قوله تعالى عن الإنسان الذي يحتضر ويموت: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩]

فالفاء في (فرَوْح) للتعقيب دون فاصل، فإن مات المؤمن المقرَّب فإلى روح وريحان وجنة نعيم مباشرة.

. . . عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال

رسول اللَّه ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنَّة حتى يرجعه اللَّه تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه**».

[رواه الإمام أحمد في مسنده عن الإمام الشافعي عن مالك]

حديث شريف يتوقف عنده القلم ليوسعه تفصيلاً وبياناً، وهذا الحديث الشريف أيضاً دليل على حياة نعيمية خاصة يحياها المؤمن في برزخه وإن كان ميتاً ولكن في علم اللَّه تعالى، وهذا الحديث الشريف قريب للعقل وسهل بيانه وتفسيره.

. . بدليل القرآن الكريم أن النوم موت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٦٠]

فالنوم في الآية موت ولكنه ليس بفناء، ودليله ما نراه في الأحلام والرؤى من أحداث جسام أو عذاب مقيم أو نعيم عظيم، ونحن نائمون موتى كما يقول تعالى في الآية السابقة، إذاً نحن موتى عندما ننام بمفهوم الحياة الدنيا ولكن ليس بعلم اللَّه تعالى، فكم منا من كان يحلم في نومه مع أنه ميت كما تقول الآية الكريمة بنعيم عظيم وهو في جنان وقصور وحور وإذا ما أيقظه أحدهم قال: قطعت عليَّ حلمي الجميل، ثم يسرع للنوم ثانية علَّه يعود إلى هذا النعيم الذي كان يعيش فيه. . تماماً هذه هي حال المؤمن في برزخه، فإنه يعيش نعيماً عظيماً لا يريد أن يوقظه أحد منه إلا إذا بعثه اللَّه تعالى يوم القيامة ليجزيه الجزاء الأوفى.

فهذه حقيقة المؤمنين في برزخهم جعلنا اللَّه سبحانه وإياكم منهم إنه على كل شيء قدير.

. . .يقول الإمام الغزالي يرحمه اللَّه: اعلم أن المؤمن ينكشف له عقب الموت من سعة جلال اللَّه تعالى ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف لا يبلغ طرْفه أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العودة إلى السجن المظلم، وقد ضرب رسول اللَّه ﷺ له مثلاً فقال لرجل مات: «**أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضي ـ بأن كان كامل الإيمان ـ فلا يسرُّه أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه**»

روى الحديث ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلاً ورجاله ثقات، والحديث يُعرِّف ويبيِّن أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم. . .وهذا الكلام يؤيده حديث رسول اللَّه ﷺ:

. . .عن المستورد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا**».

[رواه الحاكم في المستدرك]

أي أن البحر هو الآخرة وما رجعت به أصبع أحدهم ببعض ذرات الماء العالقة إذا أدخلها البحر هي الدنيا، وهذا تمثيل للمقاربة العقلية، أي سعة الدنيا للآخرة لا شيء البتة.